

موسيقى

«تحية إلى جوساميل»
تبدأ في برلين وتنتهي في روتردام

زياد الرحباني: جولة العمر (التي تأخرت)

منذ عام 1998، توقفت حفلات الفنان اللبناني في أوروبا، ولم يعد يزورها إلا للتسجيل. لذا، فالحجوة التي تنطلق اليوم في برلين، تحت اسم «تحية إلى جوساميل»، ستكون مكثفة ترحّ على عواصم عدة، لكن تطمئن الجميع، إنه أنّ هذه التحية ليست كالتحيات المعهودة التي تصدر في اليوم أو تقدّم في حفلة. تحية زيادهي تحية من موسيقاه إلى روح الموسيقى الأميركي الكبير

(مروان طحطح)

بشير صفير

يصبح البيدهي والطبيعي حدثاً محرم متى تعذر أو تعرقل فتأخر العمر. بهذا يمكن وصف الجولة الأوروبية التي يقوم بها الفنان زياد الرحباني وفرقته بدءاً من اليوم الجمعة بين ريبورتواره الخاص الغني كماً ونوعاً وتنوعاً لتأحية التأليف والتركيب والتجديد من جهة، وبين قدراته في العزف والإرتجال على البيانو، يتوقّع المراقب عن بُعد بان الرجل لا يمزّ شهراً من دون أن يكون قد حظّ في بلد أوروبي لتقديم مشروعه الفنّي في عالم تراجت فيه التجارب الجيدة التي تستحق المتابعة، حتى في أوروبا التي جنحت في الموسيقى الكلاسيكية نحو التجريب والتجريد وفي الجاز نحو الهجين والحز، وفي البوب نحو الاستهلاكي والسطحي (مع وجود استثناءات لافتالياً للالتباس؛ من هذا المنطلق، وفي هكذا زمن، يمكن القول، نعم، إنها جولة العمر التي تأخرت كثيراً، ولن نخصّف «التي لن تتكرر»، بل يجب أن تتكرّر بأشكال وأهداف مختلفة. هذه حفلة واحدة في مسرح كبير بمرافقة أوركسترا متكتملة.

على أي حال، تأخرت لكنها أتت، مع أنها ليست الخروج الأول لزياد

الرحباني إلى الحراب الأوروبية التي تعود علاقته بها إلى عام 1985، عندما قدّم اسميات في فرنسا وبلجيكا وإسبانيا، ونظّمها وقتها «النخدة الشعبية»، يمكن الرجوع إلى أواخر السبعينيات أيضاً، وأولى رحلاته إلى اليونان للتسجيل (أسطوانة «ابو علي» وغيرها)، عام 1986 رافق فيروز إلى لندن، فشارك في العزف على البيانو وأعاد توزيع القسم الأكبر من البرنامج الذي صدرت منه باقة في أسطوانة «فيروز في الريال

الدين 2000»، بالتاكيد، عام 1998، عاد إلى باريس لتقديم حفلة في «معهد العالم العربي»، ومنذ ذلك الحين لم يغب إلى أوروبا إلاّ للتسجيل (بلجيكا ـ اليوم فيروز «ولا كيف» أو لمعالجة نهائية لتسجيل متخرّج في بيروت (ألمانيا ـ اليوم فيروز ما قبل الأخير «إيه في أم!»)، قبل بضع سنوات، كان في صدد افتتاح علاقته الموسيقية الحديثة في ألمانيا، حيث كان من المفترض أن تقدّم أسبسة الغيت بُعيد الإعلان عنها، لتكون السنوات الـ15 الأخيرة محصورة خارج الحدود في الوطن العربي، بين الإمارات العربية (2005) في أبو ظبي وبعدها أمميات عدة بين أبوظبي وبيدي والشارقة) وسوريا (2008 و2009) ومصر (2010 و2013 و2018).

إذاً، زياد الرحباني في أوروبا مجدداً، في جولة مكثّفة تحمل عنوان «تحية إلى جو ساميل». البداية من برلين التي تقدّم فيها أسبسة وحيدة في Kesselhaus (اليوم ـ الثامنة مساءً)،

قبل أن ينتقل إلى بروكسل التي تستقبله في موعد واحد أيضاً (Auditoire K عند الساعة مساءً في الثالث من آذار (مارس)). من بلجيكا، يتجه الرحباني وفرقته إلى باريس لإحياء ليلتين في New Morning (4 و5 آذار، الثامنة مساءً)، قبل أن يعبر نحو لندن ليحظ في نادي الجاز الشهير Jazz Café (6 آذار، الساعة مساءً)، بعد استراحة قصيرة، تخرج الفرقة من لندن باتجاه روتردام (هولندا) ليختتم

زياد الرحباني هذه الرحلة بأسبسة أخيرة في De Doelen (9 آذار، الثامنة والرّبع مساءً).
نبدأ من عنوان الجولة: تحية إلى جو ساميل. الجميع يعرف مدى احترام زياد لهذا الرجل ومدى تأثيره به موسيقياً. عام 2010، التقيا في بيروت على هامش حفلة ساميل هنا، فتبادلا أطراف الحديث واتفقا على لقاء موسيقي قريب. لكن الموسيقي الأميركي رحل عام 2014 وضاع شيء ما كبير إلى الأبد. منذ فستيفال هول» التي تحدّ من أهم حفلاتها المشهورة (إلى جانب «بيت الدين 2000»، بالتاكيد)، عام 1998، عاد إلى باريس لتقديم حفلة في «معهد العالم العربي»، ومنذ ذلك الحين لم يغب إلى أوروبا إلاّ للتسجيل (بلجيكا ـ اليوم فيروز «ولا كيف» أو لمعالجة نهائية لتسجيل متخرّج في بيروت (ألمانيا ـ اليوم فيروز ما قبل الأخير «إيه في أم!»)، قبل بضع سنوات، كان في صدد افتتاح علاقته الموسيقية الحديثة في ألمانيا، حيث كان من المفترض أن تقدّم أسبسة الغيت بُعيد الإعلان عنها، لتكون السنوات الـ15 الأخيرة محصورة خارج الحدود في الوطن العربي، بين الإمارات العربية (2005) في أبو ظبي وبعدها أمميات عدة بين أبوظبي وبيدي والشارقة) وسوريا (2008 و2009) ومصر (2010 و2013 و2018).

كل الاحترام لساميل، لكن نريد أن نسمع أعمال زياد». هذا التعليق يكاد يكون مشتركا بين جميع من قطعوا المطاطات من دون تردد، بالتاكيد، لكن بشيء من الحسرة. في الواقع، سنطمئن الجميع، التحية التي يقدمها زياد لساميل ليست كالتحيات المعهودة التي تصدر في اليوم أو تقدّم في حفلة، فعادة تحية لفنان تعني استعادة لريبورتواره دون سواه، في حين أن تحية زياد هي تحية من موسيقاه إلى روح الموسيقى كبير تأثر به. حفصة الأسد من البرنامج هي لتحف قديمة

وجديدة، معهودة في الحفلات أو نادرًا ما تُدرج في إداء حي، بالإضافة، طبعاً، إلى تحية مباشرة لساميل من خلال أربع مقطوعات تحمل توقيع الأخير تالياً، ورؤية زياد إعداداً (وإضافات في بعض الأحيان).
أما البرنامج ككل، فهو ذاك الذي طالما حلم الرحباني في تنفيذِه أمام الجمهور وتردّد دائماً لسبعين أساسيين، الأول، لأنّ عدداً من المواد الواردة فيه متطلّبة جداً موسيقياً، وتحتاج إلى عازقين ذوي مستوى أسبساتيه في النوادي الجبروتية، لم يتعدّ زياد عن موسيقى جو ساميل. فسجّل نسخته من Soul Shadows واستعاد في أمسياته العديد من مؤلّفات الموسيقي الراحل. لكن عنوان الجولة، الذي فيه الكثير من الوفاء والحب والأمانة، لم تستسغه الاكثريّة اللبنيانية والعربية التي تعيش في الدول التي يمزّ بها قطار الجولة الأوروبي... «كل الاحترام لساميل، والرقص والتصفيق، نسمع أعمال زياد». من الرعب القديم يكاد يكون مشتركاً بين جميع من قطعوا المطاطات من دون تردد، بالتاكيد، لكن بشيء من الحسرة. في الواقع، سنطمئن الجميع، التحية التي يقدمها زياد لساميل ليست كالتحيات المعهودة التي تصدر في اليوم أو تقدّم في حفلة، فعادة تحية لفنان تعني استعادة لريبورتواره دون سواه، في حين أن تحية زياد هي تحية من موسيقاه إلى روح الموسيقى كبير تأثر به. حفصة الأسد من البرنامج هي لتحف قديمة



مم جو ساميل (مصباح عاصم)

فقط) للمرة الأولى منذ صدوره اليوم «مونودوز». من الرعب القديم أيضاً، ينضم إلى الفرقة أحد أقدم الموسيقيين الذين عملوا مع زياد الرحباني، عازف السكسوفون الواقِع، سنطمئن الجميع، التحية التي يقدّمها زياد لساميل ليست كالتحيات المتخيّنة. تضاف إلى ذلك حفصة مقبولة للاغنيات المشهورة وغير المشهورة، التي ستشارك في أدائها هبة إبراهيم (غنّت في حفلتي «بيت الدين» الصيف الماضي) وكذلك سلمى مصطفى التي تتشارك المسرح مع زياد (في باريس ولندن

يسير عقرب الوقت المجهول بثبات مربع، حاكماً بأمره الكون برمّته، فاسماً الوجود إلى قسفين: كينونة وعدم... أو وعلى مقياس البشر: ما فعله الإنسان وما لم يفعله. يمكن إضافة «بعد» على «ما لم يفعله»، في حال تكلمنا عن إنسان لا يزال على قيد الحياة، هنا تنتشر الأسئلة الفلسفية الأكثر عمقاً وتعقيداً، إذا استثنينا سؤال الموت. الموت الذي لا هو كينونة لا هو عدم، بل هو الاثنان معاً.

حسناً، لنخرج تدريجاً من هذه الموضوع، ما هو هامش إرادة الإنسان في ما هو موجود أو غير موجود؟ في المجتمع الاستهلاكي، ابن الرأسمالية المدلل، ينحسر هذا الهامش. فهكذا منظومة ماثية لها ضلوع أساسي في عدم وجود الأشياء الجميلة عموماً، حتى لو توفرت الإرادة (وفي حال الإبداع الفني تضاف: الموهبة)، في الاشتراكية، يتسع هامش الإرادة في تحديد الوجود أو عدمه، وهذا يُفترَض. وقد يكون الأمر أعقد من ذلك، لكن في النماذج اللبناني أو العربي عموماً، من الواضح أنّ الإرادة الخلاقة الفردية تصطدم بعنف بالإرادة الاستهلاكية الجماعية، حيث النتائج تكون لمصلحة الأخيرة بحكم الفيزياء. مناسبة هذا الكلام هو صدور اليوم موسيقى جديد للفنان زياد الرحباني لهذا الرجل، المؤلّف العملاق، إرادة (نشاط، تفان، رغبة، موهبة، معرفة...) في الخلق، لم يصل من نتائجها إلنا سوى الغئات ولن يدرك العالم قيمتها في المدى المنظور. فالعمل الجديد الذي يحوي موسيقى فيلمين للرحلة رندا الشهبال هما «متحضرات» (1998) و«طيارة من ورق» (2003)، جاهرَ للصور منذ أكثر من عشرين عاماً بالنسبة إلى الجزء الأول منه، ومنذ أكثر من خمسة عشر عاماً بالنسبة إلى الجزء الثاني. لماذا؟ لأن زياد أنجز كل ما عليه، وبقيت الخطوة الأخيرة (النشر) التي ظلت خارجة عن إرادته بسبب انحدار الناذقة العامة، وغياب الإنتاج المتأثر أصلاً بمزاج الاكثريّة (وليس بعدم توافر العملة، طبعاً)، في جعبة زياد الرحباني ما يكفي لإصدار خمسة أو حتى عشرة البومات من مواد غنائية مكتوبة وملحنة أو حتى موزّعة ومسجّلة (بالعشرات)، وأخرى موسيقية جاهزة للتسجيل أو حتى للنشر.

بل إن لديه مشروع اليوم موسيقى/ غنائي، على غرار «هدوء نسي»، شبه جازمٌ منذ أقل من عقدين بقليل، بميل مسجّلة، تحتاج إلى بعض التفتيح، وله أسبباً أيضاً، طبعاً ليس بتصميم عاقلة ما أحرّ نشوره كل هذا الوقت، فيعدّ «إيه في أصل» (2010) مع فيروز، لم يصدر لزياد الرحباني أي عمل موسيقي، قبله بسنة، صدرت مقتطعات من حفلاته في قلعة دمشق عام 2008 (أحد أهم أعماله الموسيقية على الرغم من أنه لم يحمل أي جديد على مستوى العناوين، لكن الجديد، الجميل، والمتين، كمن في التوزيع والأداء)، بمعنى آخر، كاد يكون العقد الثاني من الألفية الثالثة، الوحيد الذي لم يصدر فيه لزياد أي عمل موسيقي مستقل خلال مسيرته منذ مطلع السبعينيات، لو لم يأت الفرج على شكل تحية ووفاء لرندا الشهبال التي زوّجت صورتها غلاف الألبوم الذي حوّل الموسيقى التصويرية لفيلمها الأخيرين، وهو بالكامل من توقيع زياد الرحباني تالياً وتوزّيعاً موسيقياً وتسجيلياً (في استوديو Notta Production) وإنتاجاً (Kremlin Production). أما الموسيقي الوحيدة في العمل قبله من لويشتر الذي يحلّ ضيفاً على حفلة برلين فقط الجانب الشرقي في فهم من المانيا وهولندا حصراً، على رأسهم عازف الدرامن «الملك» أرنو فان نيوفهويره، الذي انخرط في العمل مع زياد منذ عشرين عاماً تقريباً. هكذا، يمكن اعتبار شكل الفرقة أكبر من مجموعة صغيرة روسيا، الصيف المقبل على الأرجح.

23 الإخبار — الجمعة 1 آذار 2019 العدد 3700 | ثقافة وناس

صدر اليوم موسيقى «متحضرات» وطيارة من ورق»

رندا الشهبال وزياد: ألحان متينة وجميلة



عنوان الألبوم الرسمي هو Music From The Films of Randa Chahal Sabbagh (موسيقى من فيلمين لرندا الشهبال صباغ) ويحوي 22 مقطوعة موسيقية (سنشّير إليها عند الضرورة بأرقامها وليس بعناوينها) لا يمكن حصرها في نمط معيّن، لكن يمكن الجزم أن لا وجود لآلة الطبلّة إطلاقاً فيها ولا حتى للدرامز (باستثناء محطة واحدة)، مقابل حضور وافر لعدد كبير من الآلات القرعية وبالأخص الأفرو-لاتينية إلى جانب الشرقية (الزهر) وحتى الفونغ (السنج الآسيوي الكبير)، علماً أنّها تغيب كليا عن نصف الألبوم تماماً. في العموم، لن ندخل في تقد لكل محطة في الألبوم، بل سننتطرق إليه بشكل عام، بدايةً، يجب الإشارة إلى أنه لا يحوي أي أغنية، صحيح، لكنه سهل المقاربة سماعياً، إذ ينضخ بالألحان المتينة والجميلة، باستثناء المقطوعات ذات الطابع التصويري البحت، حيث تلعب المؤثرات الصوتية، التي تنفّذها آلات تقليدية (الرقم 4) أو المبنية على تخافر هارموني معقد (الرقم 17) دوراً متقدماً في نقل الصورة أو التعبير عن الموقف (أو المشاعر المتصلة به)، هذه الأخيرة يجب أن يُربط سماعها بعناونها لكي تأخذ قيمتها الحقيقية، وهذه هي الحال بالنسبة إلى جميع المحطات الأخرى ولو أن ذلك الربط أقل تأثيراً في التلقّي بالتالي، واستناداً إلى النقاط الثلاث الألفة (نسبة حضور ونوع الآلات الإيقاعية، غياب الأغنية والاملاح التصويرية على اختلاف نسبتها، بميل الألبوم نحو الموسيقى الكلاسيكية (التي تبلغ درجة محاكاة حقبة محددة، كالباروك في توزيع الوتريرات على طريقة باخ في مقدّمة الرقم 16، أو الحقبة الرومنظيقية في العزف المنفرد للكان وختامه للمحطة رقم، أو الجسر الفاصل بين الحقيقتين الكلاسيكية والرومنظيقية في اللحن الأساسي ل«طيارة من ورق»)، بالإضافة إلى الموسيقى اللاتينية في المحطات المعتبرة عن موقف ساخر أو فرح، مثل جينيريك «متحضرات» ولقاء العاشقين في ختام «طيارة من ورق» (وهذه المقطوعة لا تمتّ إلى جو المحطات الموسيقية الأخرى في هذا الفيلم بصلّة، للدلالة على أنّ لقاء هذين الشخصين، الجندي الإسرائيلي العربي والفتاة الدرزية، هو أيضاً لا يمتّ إلى ماساة الاحتفال وأوزار التقاليد الاجتماعية والعائلية بصلّة)، أما الباقي، ومن ضمنه التّوزيعات المبنية على خسة الحان رئيسية (ثلاثة في الفيلم الأول والثاني في الثاني)، ففيها ما فيها من براعة في التوزيع والكتابة الهارمونية وتقابل الجمل اللبنيّة المتزامنة (تصل في الرقم 6 إلى جمع اثنين من الألحان ودعمه بجملّة ثالثة جديدة للتفتيح، قبل وصول البيانو ليختم بجملّة خالّة للبد السري في المنطقة المنخفضة) هنا يدقّ الملك ملكاً، متربعا على عرش من الناذقة

الركب. في الخلاصة، إنه اليوم شديد التماسك جمالياً، أي لتحبنا وتوزّيعاً وأفكاراً موسيقية تصويرية وتعبيرية وتسجيلاً وعزفاً، مع تسجيل حضور بارز للFingelhom والبيانو والوتريات (للتعبير عن الحزن والأسى أو البرادة والحب) والكلاريبت باص والباسون (للتعبير عن الريبة والأذعر والقلق والشؤم)، لكن تبقى ملاحظة سلبية وحيدة، منصلة ربما بالمناقبة الخاصة، وتندرج تحت خانة الأداء بالعلمى الكلاسيكي للمكلمة إنها جملة تصاعدية للكان في المحطة رقم 19، يتم تنفيذها بغاض من نظافة العزف، ما يجعلها منفرداً لذاتن. وهذا «خطأ» المؤدي (أو المؤدية)، بحيث أن هكذا جُمِل كتُكب عادة تماماً كما سمعها للتسجيل، لكنها عموماً تُؤدّى بصرف لا يبدونه بالضرورة المؤلّف، بل متروك لتقديره المعازف، بحسب حكتة واهتماماته الموسيقية. رحلت رندا الشهبال تأرّة أفلاماً عدة، كتب زياد الرحباني موسيقى اثنين منها، الأول «متحضرات» لم يشاهده اللبنانيون لأن الرقابة منعتُه، أو أسوا من ذلك، سمحت عرضه بشرط اقتطاع نصفه تقريباً؛ الثاني «طيارة من ورق» عُرض في لبنان والعالم، ونال جوائز عدة، منها أفضل موسيقى تصويرية في «مهرجان أوتشير» (Auxerre) في فرنسا، لكنه تعرّض أيضاً للمنع من العرض على الشاشة الصغيرة في لبنان. أما الموسيقى... الموسيقى في لبنان متعونة من دون رقابة ولا زرعان الطوائف والتخلف، وصدور هذا الألبوم اليوم هو انتصار. انتصار غير موجّه ضد أحد، إنه انتصار على قلقه، إنه انتصار الوجود على عدم. بشير...

اليوم «موسيقى من فيلمين لرندا الشهبال صباغ» تأليف وتوزيع زياد الرحباني. متوافر في جميع فروع مكتبة أنطون»